

التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي"

experimentation in the novel "Forty Years Waiting for Isabel" by
"Saïd Khatibi".

الدكتور: بوزيد مولود

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)
مخبر التمثلات الفكرية والثقافية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)
mimou.bzd@outlook.fr

تاريخ النشر: 2023/03/15

تاريخ القبول: 2023/01/07

تاريخ الإيداع: 2022/10/01

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تبيان ملامح التجريب في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لـ "سعيد خطيبي" وبما أنّ هذا المنجز السردي يعكس رؤية إبداعية تجريبية فقد قمت بتسليط الضوء عليه من الجانب الشكلي. تناولت فيه العتبات النصية "الصورة والغلاف"، والتجريب على مستوى المضمون تتبعته فيه التداخل الأجناسي والتعلق المعرفي بين الرواية والتاريخ، القصة، التراث الشعبي، وقد أسفرت هذه الدراسة على مجموعة نتائج أهمها أنّ هذه الرواية تعتبر محطة أخرى في التجريب وحلقة في سلسلة هذا الإنتاج الغزير، تخطت المألوف وتجاوزت المحظور وكسرت القواعد واثارت على جماليات التقليد.

الكلمات المفتاحية: التجريب؛ التاريخ؛ التراث؛ الحداثة؛ الرواية.

Abstract: This article aims to show the manifestations and features of experimentation in the novel "Forty Years Waiting for Isabel" by "Saïd Khatibi".

Since this narrative realization reflects an experimental creative vision, we have highlighted it from the formal aspect. It dealt with textual thresholds "image and cover", and experimentation at the level of content, in which he traced the overlapping of genres and the cognitive relationship between the novel, history, the story, and the folklore.

This study led to a set of results, the most important of which is that this novel is another station in experimentation and a link in the chain of this prolific production, it transcends the usual, the taboo, breaks the rules, and rebels against the aesthetics of tradition.

key words: experimentation ; history; heritage; modernity; the novel.

مقدمة:

إذا كانت الرواية الجديدة طرحت تساؤلات عديدة تنصب كلها في محاولة البحث عن تصور عام ومفهوم مؤصل لها، فإن بروز الرواية العربية بطابعها التجديدي قد جعل النقد الأدبي العربي يلتفت إليها رغبة منه في دراسة قضاياها ومصطلحاتها وعناصر تكوينها ووجودها، غير أنّ اللافت للانتباه هو ذلك الحضور الواسع للمصطلح التقدي، وكذا كثرة استخداماتها، فالتجديد، الحداثة، المعاصرة، التجريب... كلها مصطلحات تتشابك مدلولاتها وتتداخل فيما بينها لدرجة تكاد تنوب عن مسمى واحد هو ذلك الجنس الروائي الذي ينبذ القديم والسائد ليتأزر مع قواعد الخلخلة والتجاوز مؤسساً بذلك هوية جديدة تبدأ بالاستقلال، وتنتهي بالاختلاف.

غير أنّ الحديث عن التعدد المصطلحي للتجريب لا يهمننا بقدر ما نركز اهتمامنا على البحث عن مفهوم التجريب وعلاقته بالخطاب الروائي الجديد، ذلك أنّ التجريب كمصطلح نقدي يعتبر مفهوماً شاملاً لكل أنواع الفنون الأدبية، لكن البحث عنه في إطار الفن الروائي يدعونا للتساؤل ما هو التجريب؟ وفيما يكمن التجريب في الجنس الروائي؟ بمعنى آخر هل هناك خصوصية للتجريب الروائي؟.

1. مفهوم التجريب الروائي:

لقد ارتبط مصطلح التجريب بالمجال العلمي، قبل أن ينتقل إلى مجال الأدب، وقد كان الفضل لـ"إيميل زولا Emile Zola" من خلال روايته « le roman expérimental » (الرواية التجريبية)، والذي تأثر فيه بـ"كلود برنارد Claude Bernard" من خلال قراءته لكتابه "مدخل إلى دراسة الطب التجريبي" 1905. لقد قام "إيميل زولا" بتطبيق مبادئ المنهج التجريبي على الرواية، وهذا يعني أنّ الروائي حسب زولا ينبغي « أن يكون تجريبياً لأن الحياة الاجتماعية تبدو له كمختبر شاسع، وموقع أفعال متواصلة، وينبغي للرواية التي تمثل تلك الحياة الاجتماعية أن تصور هذه التفاعلات، وإلا أخطأت موضوعها، الإنسان المجتمعي حسب زولا من طبيعته أن يكون موضوعاً للتجريب»¹.

من هنا بدأ يتضح مفهوم التجريب وانتقل من مجال العلم إلى مجال الأدب حاملاً معه العديد من المزايا للمتن الروائي شكلاً ومضموناً محاولاً تجاوز النمطية الروائية السائدة فاتحاً آفاقاً جديدة لهذه الأخيرة لتجديد معماريتها والتخلص من حمولة التقليد فالتجريب في الأدب «يحمل معنى البحث الدائم عن نمط جديد من الكتابة لا يستقر على قرار، ويسعى في عملية بحثه هذه إلى الانفلات من السائد خرقاً للتقاليد، وانخراطاً في مغامرة لا تنهي»².

هذا ما يمكن الكاتب من إحداث التغيير، وخرق البنية التقليدية للخطاب الروائي، ذلك أنّ الرواية لم تعد خاضعة لقواعد وقوانين ثابتة، وأصبحت دائمة الانفتاح على آفاق جديدة في الكتابة. فالرواية التجريبية هي: «رواية الحرية إذ تؤسس قوانينها الذاتية، وتنظر لسلطة الخيال، وتبني قانون تتجاوز المستمر، ولذلك فهي ترفض أية سلطة خارج النص، وتخون أية تجربة خارج التجربة الذاتية المحضّة، فكل وقائع مختلفة أشكال مختلفة، وكل رواية جديدة تسعى إلى أن تؤسس قوانين اشتغالها في الوقت الذي تتيح فيه هدمها»³ فالرواية المعاصرة لم تعد شكلا ثابتا، بل أضحت تتسم بنزعة مستمرة إلى التجريب الخلاق، وتروم إلى كسر النمطية الأسرة، وابتكار طرق تعبير مغايرة لما كان سائداً في نماذج روائية سابقة، لترسم لنفسها أفقا جديدا في الكتابة.

فالتجريب إذن هو عملية واعية ومقصودة تسعى إلى تحقيق التّجاوز عن طريق البحث عن أشكال وطرائق جديدة في الكتابة الروائية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون التّواصل المستمر بين القديم والجديد، «الأدب في مجمل تصوراته هو في مثل هذه الأسئلة عين استعادية لما مضى، وأخرى أكثر اتساعاً لما يأتي، والجريان بين الاثنين هو في صلب عملية الإبداعية». فالمبدع ذو عين ثالثة يرى ما لا تراه العيون وأذن باطنية تسمع ما لا تعيه الأذان يسعى للاعتراف من جمال الطبيعة مستغلا المعطيات الجديدة التي تتيحها الحياة ليخلق فنا أدبيا له أحقية الوجود وشرعية البقاء

التجريب على مستوى الشكل.

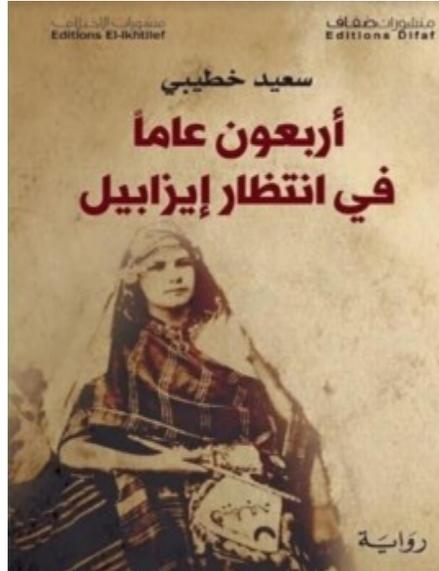
تمخض عصر ما بعد الحداثة عن الاهتمام بكل ما هو مرئي، فلم تعد اللغة هي المنظم الوحيد للحياة الإنسانية، بل أصبحت الصورة هي المهيمن والمحرك الأساس للتّحصيل المعرفي، فأضحى الاشتغال على المظهر الخارجي للكتاب مجالا للتنافس بين العديد من الناشرين بالاتفاق مع المؤلفين لجذب الانتباه، وإثارة الاهتمام، واستقطاب القراء على اقتناء الكتاب، فالغلاف هو الواجهة التي تحتوي الرواية، إنّه بمثابة البوابة للعبور والولوج لعالم النص، وهو العتبة الأولى التي تحمل في ثناياها دلالات وإيحاءات تعمل بتكامل وتناغم مشكلة للوحة فنية جمالية.

1. 1- الصورة:

إنّ الصورة في مفهومها العام تمثّل للواقع المرئي ذهنياً أو بصرياً، أو إدراك مباشر للعالم الخارجي الموضوعي تجسيداً وحساً ورؤية¹، ويعتبر ماتز "الرسالة البصرية مثل الكلمات، وكل الأشياء الأخرى، لا يمكن أن تنفلت من تورطها في لعبة المعنى، فهي عبارة عن عملية إنتاج للواقع، وتقليد تمثيلي مجسد، ومن ثم تكون علاقة الصورة بالواقع التمثيلي علاقة محاكاة مباشرة مما يجعل لها ذلك الأثر الخاص".

والصّورة هنا عبارة عن صورة فوتوغرافية، وأيقونة لبطلّة الرواية وهي شخصية الكاتبة والرّحالة السّورية " إيزابيل إبيرهارت"، ولعل أول ما يلفت انتباهنا أكثر هما اللونان الأبيض والأسود الممزوجان باللون الأصفر، وذلك لا يوحي بالقدم فحسب، بل يضفي سحرًا خاصًا، وينقل مشاعر وأحاسيس هذه المرأة بملامحها الأجنبية الهادئة، المتنكرة في زيّ الرّجل البدوي الصّحراوي الذي يتّسم بكرم الضّيافة والشّجاعة، سعيًا لكسر قيود حريتها، رافضة لمظاهر الأنوثة ولباس النساء وانتقامًا للظلم الذي لحقها بسبب ضعفها، وحببا للصحراء الجزائريّة ذلك المكان المفعم بالفراغ اللامحدود الذي تعيش فيه حالة اغتراب وتيه.

يعد اللون الأصفر، العلامة البصرية التي « حلت مكان اللغة والكتابة فساهمت دلالاته في نقل الدلالات الخفية والأبعاد المستترة للنفس البشرية»²، فهو يوحي إلى الصّحراء بكل ما فيها من شمس حارقة، وسراب، ومساحات شاسعة تشكّلها كتبان رملية، فالصّحراء رمز أو بالأحرى مجموعة رموز حية، فهي رمز للعزلة، والحرية، والمغامرة، والتأمل، فيها يعيش المرء أشواقه وأشجانه وحنينه وتصورات، ويوظفها المؤلف ليجعلها صورة يفجر من أبعادها معاناة بطله من تهم التّخاذل والعمالة، ويجعل منها فضاء رحابا للتصوير والتمثيل في المشاعر الإنسانيّة.



3-2 - العنوان:

يعد عنوان الرواية (أربعون عاما في انتظار إيزابيل) واعدًا للقارئ بإثارة موضوع شخصية تاريخية وهي المستكشفة " إيزابيل إبيرهارت"، فالعنوان هو المدخل الرئيس للتّص، ومن ثمة فهو

يعلن نوع القراءة التي يتطلّبها هذا النص، «إنّه الهجو الذي ندلف من خلاله إلى النص»³ فيكون مرتبطا بالنص أشد الارتباط، فهو الذي يوجه المتلقين والمفتاح للولوج النصي واستخلاص بنيته الدلالية فهو «علامة لغوية تتموقع في واجهة النص لتؤدي مجموعة من الوظائف تخص أنطولوجية النص، ومحتواه وتداوليته في إطار سوسيوثقافي خاص بالمكتوب، وبناء على ذلك فالعنوان من حيث هو تسمية للنص وتعريف به، فهو علامة سمائية تمارس التدليل وتتموقع على الحدّ الفاصل بين النص والعالم لصيح نقطة التقاطع الإستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص»⁴. ومن هنا يكون العنوان هو الجزء الذي يعبر عن الكل.

غير أنّنا في هذه الرواية نجد عنوانا مراوفا مركبا لا يتطابق مع النص، فيكون بمثابة المتاهة والفتح الذي ينصبه الروائي للقارئ ليتمرر أنساقه المختلفة، ويوهمه انفتاح خطاب العنوان بأن الموضوع سهل لا يحتاج إلى تأويل، ولا جهد قصد فهم إحياءاته وتلميحاته، فعند قراءتنا للرواية يعدنا أفق التلقي مخياليا لمطالعة رواية تبحث عن سيرة المستشرقة " إيزابيل إبيرهارت" والخوض في مغامراتها التي لم تكتمل لا واقعيًا ولا تاريخيًا، لكننا نصاب بخيبة حين نجد النص يغوص في سيرة شخصية أخرى وبطل آخر منحه الروائي دور الزيادة، فانفرد ببطولة المتن الروائي وهو " جوزيف رينشار" تاركا لـ " إيزابيل" بطولة العنوان والغلاف، فلم تكن سوى طيفا عابرا ونادر الظهور ما يجبر القارئ على تغيير إحدائياته لمعرفة بطل آخر.

كان حضور شخصية " إيزابيل" عبارة عن موجات من الذكريات التي يستذكرها البطل كلما تقاطعت يومياته معها، وكانت في غالب الأحيان افتراضات واحتمالات ترتسم في مخياله، ولم تتأثر الرواية بعنوان بارز هو البحث عن "إيزابيل" طيلة أربعين عاما من حياة البطل " جوزيف" بينما تخفي جملة من المحكيات الفرعية التي كان أغلبها عديم العلاقة بالحكاية الإطار، فالكتاب يحاول ردّ الاعتبار لهذه الشخصية المهمشة والمظلومة تاريخيًا، كما يحاول دحض الشائعات التي طالتها بتهمة الجوسسة والعمالة، وعدم السماح بتشويه سيرتها وصورتها، وتغيير صورتها المعرفية فيعلنها عنواناً لنصه الإبداعي بالاسم والصورة، لكنه يفشل في ذلك لأنّ نصه قد همشها فلم تحظ بأي نصيب من الخطاب، بل كانت محل حديث بصيغة الغائب على لسان البطل " جوزيف" فكانت مجرد خلفية عابرة لسد فراغات النص، ومجرد افتراضات في ذهن الراوي الذي لا تربطه أية علاقة فعلية معها سوى تشبيه نفسها بها في الأوروبية، والاعتراب في صحراء جزائرية، فلم تكن كفاعل نصي في الرواية، وقد يكون سبب ذلك قلة المصادر عنها، والشح المعلوماتي الافتقار المعرفي حولها فأغلب محطات حياتها يكتنفها الغموض، ففراغ الخلفية المعرفية للنص حول شخصية تاريخية غيبت سيرتها، لا تؤهل الكاتب للدفاع

عنها وتنصيبها شخصية مركزية لمشروعه الروائي لأن ما خصص لـ "إيزابيل" في النص لا يتناسب ولا يتطابق وموضعها في العنوان، ومن هنا يتحول البطل إلى شخصية هامشية. وأخيرا يمكننا القول أن "إيزابيل" لم توف حقها واقعيًا ولا تاريخيًا، ولا **خياليًا**، فقد ظلمت حية بتهمة العمالة، كما ظلمت ميتة بتهميشها تاريخيًا بتغيب موروثها الثقافي، وظلمت في هذا النص الروائي لقلة المصادر عنها، بل وظلمت حتى في عنوان الرواية رغم تربعها على غلاف الرواية اسما وصورة، فالأربعون عاما المذكورة فيه إنما تخص البطل الذي حاز على حصة الأسد "جوزيف رينشار" قضى أربعين عاما في الجنوب الجزائري يبحث عن هويته المتشظية ويستعيد بطولات "إيزابيل" بالبحث عن نقاط التلاقي بينهما، فيكون "جوزيف" بشكل أو بآخر بطلا للعنوان والمتن مما يدفع القارئ لاستنباط سبب تهميش المؤلف لشخصيته المركزية في مضمون النص وموضوعه، بينما يمنح المركزية في الخطاب لشخصية أخرى.

يمكن القول أن التجريب على مستوى العنوان يتمثل في وضع الكاتب عنوانا خاصا بشخصية أنثى يظهر للقارئ للوهلة الأولى أنه جعلها مركزا للرواية وبالانتقال لقراءة المتن الروائي يتضح لنا أن بطل الرواية شخصية ذكورية فقد استعمل الكاتب المراوغة والمفارقة لدفع القارئ لقراءة النص الروائي ومساءلته واستنطاقه لمعرفة ما يكتنزه من جماليات.

ثانيا: التجريب على مستوى المتن الروائي:

2. تداخل الأجناس في الرواية:

لقد أصبحت الرواية العربية الزاهنة تبحث باستمرار عما يحقق نوعيتها، ويجسدها كخطاب منفتح ومتجدد من خلال اعتماد أساليب وتقنيات جديدة، وقد شهدت تحولات كتابية متعددة حملت في طياتها تحولات أجناسية، حطمت التقاليد وتمردت على الشكل المعهود، وألغت كل ما لم تستسغه ذائقتها الفنية. حتى غدت الكتابة الروائية اختراقًا وانتهاجًا لدى كثير من الروائيين، واقتحمت بفعل التجريب حدود الأجناس وتخومها، وتحولت إلى جنس مهجن يحوي بداخله الشعر والمسرح والقصة والمقامة وغيرها من الأنواع، في ظل غياب للنظرية الأجناسية وقواعدها.

4-1- تعالق الرواية مع القصة:

تتداخل الرواية مع جنس القصة من خلال الاعتماد على تقنية الاسترجاع الذي أعان الساردة على تذكر قصص عاشها وقد عرف "محمود تيمور" القصة" بقوله: "هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل إلى أذهان القراء، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه"⁵. هذا وقد وظف الروائي في نصه جملة من القصص أجملناها في هذا الجدول:

القصة	ص	موضوعها
1	11	حديث البطل الراوي جوزيف مع نفسه حول رسم صورتين لإيزابيل.. وبروز فكرة وتقديم نفسه للقارئ.
2	16/13	تقديم البطل للشخصية المساعدة في الرواية، وصديقه سليمان. وتقديم مورفولوجي ذاتي للبطل الراوي جوزيف.
3	26	بعض صفات إيزابيل حسب شعور البطل الراوي جوزيف، ومكان قبرها بعين الصفراء.
4	29/28	وصف الإباضيين وعاداتهم وطقوسهم
5	32/31	تخيل البطل لشكل إيزابيل وأوصافها. وبعض الحوادث في حياتها ومحاولة اغتيالها.
6	38	قصة زوينة الخادمة في بيت البطل جوزيف وصديقه سليمان.
7	39	قصة الفتاة مليكة بنت الحاج احمد العامل بمصنع الآجر.
8	46	قصة خضرة راقصة أولاد نايل التي رواها المستشرق التشكيلي إيتيان دينيه بصورة مشوهة. وحاول الراوي ومن ورائه الكاتب تصحيحها.
9	52	قصة زيار البطل جوزيف للكنيسة ومقبرة النصارى، ومقبرة الإباضيين والسنة.
10	58	قصة زيارة البطل للزاوية الريحانية لملاقة شيخها سيدي لمنور.
11	61	قصة تعرض حيزية جارة البطل جوزيف للسرقة فلادتها الذهبية
12	68	قصة لقاء البطل جوزيف مع الحاج لمنور شيخ الزاوية الريحانية وتوديعه.
13	74	قصة تحقيق الشرطة في وفاة علجية سعاد جارة البطل الراوي جوزيف.
14	77	قصة فقدان البطل جوزيف لأمه أن لور، وقصة أفراد

عائلته.		
عودة إلى قصة علاقة البطل الراوي جوزيف بصديقه سليمان.	81	15
قصة الوضع المادي الصعب لإيزابيل.	85	16
قصة نزوات إيزابيل إيبرهارد وجموح رغباتها في تعاطي الممنوعات وشهوات الجسد.	86	17
قصة عن مدينة بوسعادة.	89	18
قصة البطل الراوي جوزيف في بوساد أثناء العشرية السوداء	95/94	19
قصة موت الشاعر الشعبي محاد صاحب المخبزة	97	20
قصة رسالة المودة من الشيخ لمنور (شيخ الزاوي الريحانية) إلى البطل الراوي جوزيف.	104	21
قصة اللقاءات الحمية لإيزابيل مع الشبيخة لالة فاطمة مقدمة الزاوية الريحانية في بداية القرن 20. ومعركة المشيخة على الزاوية الريحانية بين لالة فاطمة وأبناء عومتها.	112	22
أربعة أسطر من المخطوط الذي تقر في إيزابيل بزيارة قبر لالة فاطمة	113/112	23
بورتريه الدرويشة الثلاثينية وقصتها مع الدرويش المختل	114	24
قصة حول الفنان عبد الهادي صديق الراوي. وحواره مع البطل الراوي جوزيف حول أصول إيزابيل	115	25
وصف مورفولوجي لإيزابيل من خلال صورتها.	119	26
مناجاة ذاتية للبطل الراوي وتخيله للقاءات مفترضة مع إيزابيل.	121/120	27
قصة الفتاة جونيفاف وعبد الحميد	122	28
قصة البطل الراوي مع شهر رمضان ويوميته	129/128	29
قصة الممثلة الفرنسية جينات لوكلارك	133	30
قصة مدينة بوسعادة مع مظاهرات وتجمعات الإسلاميين وشعاراتهم	134	31
قصص رحلات البطل الراوي جوزيف وتشبيه حاله بإيزابيل	141	32

33	144	قصة البطل الراوي مع الصحفي سعيد خطيبي
34	157/156	قصة استعداد البطل جوزيف من بوسعادة إلى باريس وتسليم مخطوط قصته الحاملة بإيزابيل إبرهاردت على مدى 40 عاما إلى الصحفي السعيد خطيبي.

أورد جوزيف ثلاثا وثلاثين حكاية (33) منها سبع حكايات لشخصيات فرنسية مثل: حكايات والده "شارل" الذي مات في حادث سير، والرسام "إتيان دينيه" الذي سخر من نساء قبيلة "أولاد نايل"، وجارته بالضيعة الباريسية "شانثال" التي أحبته، وحكاية الراهبة "جونيفياف" التي هجرت الكنيسة وتزوجت الجزائري "عبد الحميد" وحملته معها إلى فرنسا ثم تخلت عنه تحت إكراه والدها. وهناك ست وعشرون حكاية (26) لشخصيات جزائرية على غرار حكايات الكاتبة "صافية كتو" التي دفنت بالقرب من قبر إيزابيل، وللافاطمة شيخة الزاوية الريحانية التي على صلة بإيزابيل، و"عبد الكريم طيطي" زعيم الحي، والجارا حيزية، والطفل الأشقر أيوب، وعاملة البيت زوينة، والشابة سعاد أخت القتيلة علجية، و"خضرة بنت الطاووس" من قبيلة أولاد نايل، وسليمان صديق الراوي الذي لا يظهر منه في الرواية إلا بعض أقوال حكيمية عامية أصيلة تنضح "بالنصح والموعظة وترديد الأحكام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية لأنه يؤمن بأن خير الكلام هو كلام أجدادنا".

ثلاث قصص حصراً حقيقية وهي:

القصة	الصفحة	النص من الرواية
القصة الأولى: القصة المشهورة حول نزوات إيزابيل إبرهاردت وجموح رغباتها وتهتكها في تعاطي الممنوعات وشهوات الجسد	ص(86)	كنت أنظر إلى أطفال يمرون أمام باب بيت الموارب، واستنشق بعمق سيجارة "الكيف"، أقلبها بين اصبعي، أضغط على عقبها، أعيد استنشاقها وأتمنى أن لا تنتهي".
القصة الثانية: [قصة لقاء إيزابيل بالشيخة فاطمة مقدمة الزاوية الريحانية]	ص(112)،	كما فعلت مع إيزابيل التي ربما كانت تدفئ قلبها بلقاءاتها الحميمية مع الشيخة لالة فاطمة، في الزاوية الريحانية، حيث كانت تجالسها كل يوم، بعد العصر، تتحدث

معها في الدّين.		
لالة فاطمة ماتت من يومين، قرأت الفاتحة ثلاث مرات على قبرها، ثم حدثتها عن الغيم الذي غطى الزاوية غداة وفائها، كلا، هي لم تمتن سافرت حيثما يسافر العشاق الأبرياء، ركبت بساط الحب من دون أن تودعني. كما لو أنّها كانت تستفزني للحاق بها.	(ص112-113)	القصة الثالثة [زيارة إياي لقبر الشيخة لالة فاطمة التي حملها مخطوط من أربعة أسطر]

لقد استند الكاتب في نسج روايته على مجموعة من القصص، ملغيا بذلك الحدود الفاصلة بين الأجناس؛ أي بين الرواية والقصة. ويمكن تفسير عودته لهذه القصص ليوهم القارئ بواقعية الأحداث والشخصيات حيث جعل السرد خادما للوصف والحوار مشكلا لتوليفة من الأنماط تتداخل وتتماهى فيما بينها.

4-2- تعالق الرواية مع التاريخ:

أضحى التاريخ مادة خام ينسج منها الروائيون نصوصهم الإبداعية، والتاريخ جملة من الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما وتصديق على الفرد والمجتمع كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية يقول "أبو القاسم سعد الله": «التاريخ قدر مشترك يحتفظ بجميع الأحداث والتطورات الإنسانية منذ فجر الحياة، ويسجل جميع الخصائص التي ميزت هذه الحياة، وعدلت سلوكها بالنظر إلى جذورها النامية الخاضعة لتأثير النشوء والارتقاء...»⁶. فالتاريخ إذن علم تحسن دراسته والاطلاع عليه وتوظيفه في مختلف الأنواع الأدبية والفنون خاصة الرواية لأن هذا القدر المشترك هو النقطة التي التقت حولها كل الأصوات الأدبية إبان الاحتلال، فلا نكاد نقرأ نصاً أدبياً واحداً إلا ووجدنا التاريخ من أهم المرامي التي يهدف إليها الكتاب.

ورواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل لـ" سعيد خطيبي**، رواية تتأسس على التاريخ الذي يتجلى عبر كامل فصولها، فهي استحضار لتاريخ شخصية "إيزابيل"، فالرواية تغطي فترة تمتد إلى أربعين عاماً من 1952 إلى 1992. وقد استعادت شخصيات حقيقية واستثمرتها سرديا وفنيا ووضعتها وجهاً لوجه أمام شخصيات أخرى متخيّلة، وحاكت فترات ومسارات مفصلية في تاريخ الجزائر، من إرهابات الثورة، إلى الاستقلال، وصولاً إلى العشرية السوداء.

فشخصية "جوزيف" كان له الرغبة في تمثيل "إيزابيل"*** في كل دقائق حياته، مما دفعه إلى تفسير تاريخه وفقاً لتاريخ وحياة "إيزابيل"، فهو يرغب في رد كل حدث، وكل سلوك سلكه إلى

التشابه بينه وبينها وكأنه يتمثلها تماما فيقول: «في صغري، لم أفكر في الترحال، ووجدتني مثلها أغادر صقيع مدينتي الشمالية، وألجأ إلى هذه البقعة المتكاسلة والصادمة، فلا شيء كان ينبئ بأنني سأبقى فيها أكثر من بضعة أسابيع، لكنني فعلت»⁷ كذلك هو يعمل على رد سلوكه إلى سلوكها وكأنهما يتميزان بنفس الميزات السلوكية: «كنت عنيفا مع نفسي أكثر مما ينبغي، وفضلاً مع الآخرين، وتافها، ولكن لم أكن أسوأ من إيزابيل، التي كانت أكثر تطرفاً مني في علاقاتها مع عائلتها، ومع أمها تحديداً، لقد صدمت من أحبواها وصدمتني أيضا يوم قرأت قصة حياتها المرقعة بغدر وخيبات من المقربين، لكن معاركها الداخلية، ونفورها من بعض أهلها، لم يمنعا في النهاية من أن تعيش حياتها كما يحلو لها، وتتقلب في الدنيا الفسيحة بين المراتر وانتهاك المحرمات، وتجعل خصوما لها يحبونها، أكثر فأكثر يوم رحيلها»⁸، كل هذا الحب الذي يكنه لإيزابيل التي لم يعرفها إلا من خلال يومياتها التي كتبتها في حياتها يجعله راغبا في التماهي الكامل معها وكأنهما واحد فيقول: «إيزابيل كانت أسوأ حالا مني في علاقاتها بمدنيتها، كانت تهرب منهم، هي وزوجها سليمان أهني، وتخفي وجهها عن أعينهم كي لا تدفع ما عليها من ديون، لكن إيزابيل كانت فعلا في وضع مادي صعب، كانت فعلا بحاجة للمال لتعيش ولتأكل خبزا وتُدْفئ جسدتها النحيف، كانت تتسول ولكن بطريقة محترمة»⁹، أي أنه يحاول أن يكونها في كل وضع من الأوضاع لدرجة أنه تمنى أن يُدفن معها في مقبرتها حين موته عله يلتقيها تحت التراب.

ينبش الروائي الجزائري "سعيد خطيبي" في قبر الرومية، كما يسمها بدو وأهالي مدينة "عين الصفراء" في محاولة سردية لاقتفاء أثرها، وقراءة متأنية لمذكراتها ويومياتها التي دونتها، من خلال فرضية متخيلة مفادها عثور الفنان الفرنسي "جوزيف رينشار" بطل الرواية والمقيم في الجزائر منذ سنوات بعيدة، وتربطه صداقة قوية بأحد الوطنيين الجزائريين يدعى "سليمان"، على مخطوط لها، في بيت موظف سابق في "دار البلدية" في مدينة بوسعادة، جنوبي الجزائر، حيث أقامت على فترات متقطعة، وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على رحيلها التراجيدي.

"كلماتي لن تبلغ" إيزابيل، فهي الآن تتلذذ بنومتها الصحراوية، في تلك المدينة البعيدة المسماة "عين الصفراء"***. في المرة الوحيدة التي زرت فيها عين الصفراء، كان الفصل شتاء، لسعتني برودته الجافة بمجرد نزولي من الحافلة. زرت إيزابيل - أوسي محمود، كما كانت تسمى نفسها - في مقبرة "سيدي بوجمعة" ثلاث مرات: المرة الأولى لقراءة الفاتحة على روحها، وإشعال شمعة، والثانية لتحويط القبر بالطوب، بعدما بلغني عن كلاب ضالة كانت تنبش القبور. وفي الثالثة لتوديعها وإشعال شمعة أخيرة"¹⁰ فقد صار ضريح الكاتبة المعروفة الواقع بمقبرة "سيدي بوجمعة" بعين الصفراء، يشهد حالة متردية، بسبب تهاوي الأسوار الخارجية

للمقبرة مما ساهم في تحويلها إلى مرتع للكلاب الضالة ليلا، مع تسجيل، خلال السنوات القليلة الماضية، محاولات نبش واستباحة حرمة الضريح.¹¹

تعرفت "إيزابيل" من خلال رحلاتها على الطريقة القادرية الصوفية السرية، التي كان أتباعها يحاربون الظلم الاستعماري في الجزائر ويساعدون ويطعمون الفقراء في هذا الوقت. في بداية 1901، هجم عليها رجل بسيف، وهو قطع يدها تقريبا في محاولة اغتيال، لكنها عفت عنه، ونجحت في الدفاع عن حياتها. يقول: "فجأة بينما هي تكمل ترجمة ما جاء في الرسالة، نزلت على كتفها الأيسر ضربة، حادة وقوية، بسيف، أعاقت ذراعها أسبوعا كاملا عن الحركة، وراحت تصرخ عاليا: يا ناس... حاب يقتلني! حاب يقتلني!". لحسن حظها أنّ مريدا من الزاوية يدعى سعد أسرع، من الخلف، لشل يد المعتدي اليميني بضربة عصا، ثم دفعه التاجر الشاب عبد الله إلى الورا، لتنجو إيزابيل من محاولة الاغتيال. بعدها حكم على المعتدي بعشرين عاما أعمالا شاقة، وأمرت هي بمغادرة الجزائر، خوفا من انتقام أهل المعتدي وقبيلته منها، فهاجرت إلى مرسيليا مرغمة، ثم عادت منها إلى الجزائر، وفاء لسيرتها في التيه والترحال، بعد ترسيم زواجها من حبيبها سليمان أهني.¹²

ويرجع السبب إلى الخلافات الداخلية الموجودة بين الطرق الصوفية، والاستعمار من جهة أخرى، واستغلت السلطات الفرنسية الحادثة وطردتها إلى مرسيليا، ويرجع البعض سبب ذلك إلى خشية السلطات من تحقيق إيزابيل في جريمة الماركيز. وتحول منفاها المؤقت إلى انتكاسة شجعته على كتابة العديد من مؤلفاتها، وتعرفت هناك على جندي جزائري اسمه سليمان، والذي كان ينتمي لطريقة صوفية، فتزوجت به في 17 أكتوبر 1901، مما منحها الجنسية الفرنسية وحق الرجوع للجزائر. في الأشهر الأخيرة من حياتها أقامت إيزابيل في قرية عين الصفراء الموجودة قرب الحدود المغربية الجزائرية بهدف تغطية العمليات التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي بالحدود المغربية، بسبب الصراع القائم بين الثائر بوحمارة وقوات السلطان المغربي عبد العزيز بن الحسن والقبائل المتعربة والبربرية (الأمازيغية) المنقسمة بين هذا وذاك.¹³

لعل من أهم ما فعله خطيبي من خلال سرده الروائي أنّه جعل جوزيف يروي عن عادات المناطق العربية التي تتشابه في كل البلدان العربية، فالجميع يثرثرون ليل نهار، ويحاولون دائما أن يدسوا أنوفهم فيما لا يعنهم، فنراهم مثلا يتهمون إيزابيل بالجاسوسية لمجرد أنّها كانت مختلفة عنهم: «هي كانت تشك في نفسها، في صدق علاقتها بالسماء، ولكن لا أحد شك في انتمائها للإسلام، ولم يجد خصومها من شيء للطعن في شخصها سوى اتهامها بالعمالة، اتهامها مرة بالعمالة للإنجليز ومرة أخرى بالعمالة للفرنسيين، ومرة ثالثة بالعمالة للألمان، ومن دون أن تنتبه، كانت الألسنة تنقلها من بلد إلى آخر، تنسبها في الصباح لمخابرات بلد معين، ثم في المساء

تنقلها لمخابرات بلد آخر، كانت بعض النسوة الغيورات منها يوشوشن في آذان رجالهن بأنها جاسوسة».¹⁴

إلى جانب التاريخ لقد وظف "سعيد خطيبي" في روايته، شخصيات حقيقية أخرى، إلى جانب فارسة الصحراء إيزابيل، مثل الكاتب والرسّام الفرنسي إيتيان ديني (1861 - 1929)***، الذي عاش في بوسعادة أيضاً، حيث اعتنق الإسلام وصار اسمه نصر الدين دينيه. إذ يقدّم الراوي ما يشبه معارضةً لروايته الشهيرة: «خضرة، راقصة أولاد نائل»، إلى جانب الرسّام مكسيم نوري، عشيق إيبرهارة، الذي أهدته أحد نصوصها، وأيضاً أحد أحفاد الأمير عبد القادر، الذي خدم في الجيش الفرنسي الاستعماري ثم مات في دمشق.

ترصد الرواية فترة زمنية هامة من تاريخ الجزائر، تمتد على مدار أربعة عقود من الخمسينيات وحتى التسعينيات من القرن الماضي، فتحكي عن أهم أحداثها السياسية وانعكاساتها على "جوزيف"، الرجل الأوروبي الذي يعيش في بلدٍ أحبه، وتخلّي من أجله عن بلده الأصلي. وتكون النقطة التي يختارها الكاتب للدخول إلى شخصية بطله وكشفها أمام القارئ وتفكيكها، هي مرحلة "العشيرة السوداء"، حيث البطل/ الراوي يعيش صراعه الداخلي وهو يودّع ذكرياته في البلاد، مقرأً العودة إلى فرنسا، مكرهاً لا راغباً. يقول: «أخبرني عن نيته في العودة إلى مرسيليا، لتنظيم حياته مجدداً هناك، في حال تحقق ما يكتب في الجرائد عن سيناريوهات قائمة للوضع السياسي في البلد، وإمكانية تردي الوضع الاقتصادي، بعد الدّور الثاني من الانتخابات، ثم ابتلع ريقه وصمت».¹⁵

لكن "خطيبي" كان يريد أن يصف الأجواء التي وصلت إليها الجزائر في بداية سنوات العشرية الأولى والاشتباك المسلح بين الإسلاميين والنظام السياسي، يقول: «الشرطة تعتدي، بالضرب وبالرصاص المطاطي على الشباب الغاضب..... الشباب يغضبون والشرطة ترد عليهم بالعصا، وبالرصاص وبالقنابل المسيلة للدموع».¹⁶

كما عاد للحديث عن فوز حزب العدالة بالانتخابات البرلمانية يقول: «لكن، الآن ضاق البال، ولم يبق من الوقت سوى ثلاثة عشر يوماً، قبل إجراء الدوري الثاني من الانتخابات البرلمانية، التي تميل فيها الكفة لحزب "العدالة"، الذي فاز في الدور الأول، قبل ثمانية أيام، بدعم من الآلاف من أبناء المدينة، ووعد قاداته أنصارهم الكثر بحياة أفضل، مع تأمين ممتلكات الأجانب، وإعادة توزيعها عليهم بالعدل. الشعب بات يثق في أصحاب اللحي، يجد فيهم بديلاً من أجل تدارك الأزمات المالية والسياسية التي دخلتها البلاد».¹⁷

هذه التغيرات الكبيرة التي طرأت على المجتمع الجزائري انعكست بدورها على الجميع فبدأ الأمر وكأننا يحكي لنا جوزيف تاريخ الهزيمة الحقيقية التي حدثت في الجزائر، فرغم أنّ الجزائر

قد استطاعت بعد سنوات طويلة التّخلص من الاستعمار الفرنسي، إلا أنّها ظلت تعيش في هزائم متكررة بعد تحررها من هذا الاستعمار، هذه الهزائم كانت في حقيقتها هزائم فكرية وحضارية واجتماعية لم تستطع التّخلص منها بسهولة، فبعدما كان المجتمع الجزائري قادراً على تقبل الآخر المختلف عنه في ثقافته ودينه جاءت فترة الإسلام السياسي التي جعلته يرتد ردة حضارية ضخمة ويرفض كل من يختلف عنه، وهذا أدى إلى رفضهم لجوزيف الذي يعيش بينهم منذ أربعين عاما، وحارب معهم في حربهم التحريرية، لكنهم بثقافتهم الدينية باتوا يرونه غريبا غير صالح للحياة بينهم، كما رأوا أنّ إسلامه غير مكتمل بل هو إسلام ناقص «هم - طبعاً - لن يستثنوا بيتي من قائمة التأميمات ولن يولوا اهتماماً للأربعين عاماً التي قضيتها بينهم، (..) قريباً، سأجد نفسي في العراء، مضطراً للعودة من حيث جئت" ولئن بدا هذا الوعي متأخراً زمنياً فقد أجبره على ضرورة العودة مع صديقه سليمان إلى باريس خوفاً ممّا قد يصيبه في هذه الحرب المعلنة بين الدولة والجماعات الإسلامية من انتهاك جسديّ أو رمزيّ»¹⁸. فبطل الرواية لم يفهم الدين الاسلامي على حقيقته، مما جعله لا يميل إلى دين واحد ميلا كاملا، فهو مرة يميل إلى الدين والمسيحي ومرة إلى الدين الاسلامي، لهذا اضطر للعودة الى موطنه خوفاً من ان يتعرض إلى القتل من طرف الجماعات الاسلامية.

عاد الروائي للحديث عن تاريخ مدينة بوسعادة العريق وإلى سكانها الأصليين الذين سكنوها يقول: "إنّها مدينة مشبّعة بالأوهام وبالسقطات، تنقلّب حول ماضيها بلا كلل، تنظر، من حين لآخر، لقدرها المطعون، ثم تعود لحاضرها لمواصلة قيلولتها، تأسست زمن الفاطميين، أقام فيها أمازيغ وهلاليون، جاؤوا من الشام، واحتضنت الفارين من الأندلس، مال قلبها للوليين الصالحين سيدي سليمان وسيدي ثامر، واسمياها "مدينة السّعادة" ثم صارت بوسعادة، أقيمت فيها المآذن وزوايا المتصوفة وأجراس كنائس وأسقف معابد يهودية، ثم انقلبت عليهم وغازلت رسامين وكتابا، مرّ بها "كارل ماركس"، حلق فيها بعض لحيته، لكنها لم تتبرّج له كما فعلت مع "أندري جيد" وصارت حصنا للعاهرات الشّريفات وفتحت رجلها لقوادين، ثم تحالفت مع البؤس لتطرد من لا يعجبها ومن لا تعجبها، هذه هي المدينة الصهباء.¹⁹ فقد تركت مدينة بوسعادة صورة متقلبة في نفسية جوزيف مرة سلبية ومرة إيجابية.

القارئ لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لن يقرأ رواية عن إيزابيل إيبرهات التي تركت وطنها في سويسرا لتستوطن الجزائر فقط، بل سيقراً الكثير من تاريخ الجزائر الذي لم يعرضه "خطيبي" بشكل مباشر بقدر حرصه على عرضه بشكل سردي روائي محكم من خلال لغة سردية محكمة وجميلة مما يؤكد أنّ السرد الروائي الجزائري ينهض نهضة ضخمة ليكون منافساً ومتميزاً في السرد الروائي العربي..

لقد جرب الروائي توظيف الصحراء الجزائرية المتمثلة في مدينة بوسعادة بتاريخها ومناطقها ومكوناتها ليجعل منها إطارا مكانيا عاما تتفرع عنه بنى مكانية فرعية استحضرتها كمنسق ظاهر تارة ومضمرة تارة أخرى.

4-3 - تعالق الرواية مع التراث الشعبي:

إذا تحدثنا عن التراث الشعبي، فإننا نجد حضوره قد كان متواليا في رواية "سعيد خطيبي"، حيث اشتغل الكاتب على توظيفه بين ثنايا اللغة الأدبية بشكل مكثف وغطى مساحة لا بأس بها من الفضاء النصي للرواية، حاول بذلك تشخص الواقع ومنحه بعدا إشكاليا يتم على مستوى رصد تحولات الواقع الجديدة، ومقارنته بالماضي القريب، ليكون هذا المثل الشعبي وسيلة لبعث توترات الحاضر، ومن الأمثال الشعبية التي وظفها الروائي ما يلي:

الصفحة	المثل
20	اللي ما هام ما عام ما يعرف قداش نهار في العام.
36	خذ الرّاي اللي بيكيك ولا تأخذ الرّاي اللي يضحكك.
37	ما يحس بالجمرة غير اللي عفس عليها.
59	كما يقول المثل الشعبي: المهم سلامة الرأس!
70	ربي يسهل!... واش يدير الميت في يد غسالة!
103	"عاش ما كسب، مات ما خلى!"
139	ما يبقى في الواد غير حجاروا.
114	رأسي ورأسه في شاشية واحدة، موسى وحدة تذبحنا.

من الملاحظ أنّ استخدام الكاتب للمثل الشعبي جاء مكثفاً، وقد أبرز تعلق "سعيد خطيبي" بالمرور الشعبي، وتشخيص صورته عن طريق الاندماج الشديد في الحاضر والواقع المعيش، وبذلك يصبح المثل حاملا لوظيفة دلالية تساهم في تشكيل، وبناء المعنى الجديد على أن يتم تصريفه وفق توزيعات نصية تعمل على إثارة القارئ شعورياً، ولأنّ الروائي يؤكد على الواقعية، فإنّ استخدامه المثل الشعبي لم يكن مجرد تقنية تعبيرية الغاية منها التزيين الكلامي، بل إنّ الكاتب يحاول أن يشخص الواقع ويستدرجه بحيث يكون أقرب إلى لغته الروائية، لذلك وجد

في المثل الشعبي وسيلة للاستغراق في زمنية سابقة وتجسيدا لمفارقات حياتية، والربط بين الحوار بين الحاضر والماضي الأمر الذي يمنح الرواية بعداً جمالياً، ويجعل اللغة تتأرجح بين الأدبي والشعبي اليومي، وهنا تمتلك الرواية القدرة على بناء صلة إبداعية مميزة مع ما في الذات ومحيطها من بياضات ومع ما في اليومي من حيوية وتدفق وتصعد متباين الأوجه والمظاهر.

جرب الروائي توظيف المثل الشعبي ليكون قريبا من عامة الناس وليعكس طبيعة الحياة في بوسعادة ويقرب أكثر من المتلقي فالمثل الشعبي جزء لا يتجزأ من ثقافتنا الشعبية وموروثنا الشعبي المتوارث جيلا عن جيل.

- خاتمة:

تبين الدراسة أن عملا فنيا واحدا قد تتداخل فيه أجناس أدبية مختلفة، وهذا ما حاولت الدراسة مقارنته ومحاورته في إبداع أدبي يثير هذه الإشكالية بوضوح، فرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل لـ" سعيد خطيبي" تؤكد بصورة لا تقبل الجدل، اختراق حدود الجنس الأدبي بأشكال عديدة تتراوح بين مزج، الرسائل، التاريخ، والقصة.

أفرزت بيئة ما بعد الحداثة الاهتمام بكل ما هو مرئي، فأصبح للصورة دور هام للتحصيل المعرفي، ودو فعال للتواصل الإنساني.

إن توظيف التاريخ عند "سعيد خطيبي" لم يأت عشوائيا، ولا هو من أجل إعطاء الشرعية لنصوصه، بل كان ملمحا من ملامح التجريب عنده، ومظهرا من مظاهر الكتابة الحداثية التي أراد الكاتب خوض غمارها في السنوات الأخير. وقد بلغ الروائي قمة هذا التجريب في روايته من خلال اشتغاله الحداثي على مزج المكون الروائي بالمكون التاريخي. وهي رواية أثارت الكثير من الجدل في الأوساط الأدبية والنقدية لأنها تجاوزت الأطر التقليدية في الطرح الروائي العربي.

- تعد رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" محطة أخرى في التجريب وحلقة في سلسلة هذا الإنتاج الغزير، عاد الروائي من خلالها إلى مرحلة مهمة من التاريخ الجزائري الحديث ليبيّن على أنقاضها زما آخر هو الزمن الحاضر ويصنع منها واقعا معرفيا جديدا يعيد به تشكيل وعي الأجيال بتغيير نمط تفكيرها وتغيير نظرتها إلى الآخر.

5. الهوامش

¹ - ينظر: قدور عبد الله ثاني، سميائية الصورة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص 25.

² - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1986، ص 91.

- ³ - علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دار الشرق، عمان، ط1، 1997، ص 173.
- ⁴ - خالد حسين، في نظرية العنوان، دار الدكوكين، دمشق، ط1، 2007، ص 96.
- ⁵ - محمود تيمور: فن القصص، مجلة الشرق، مطبعة هلال، مصر، 1948، ص 42.
- ⁸ - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، دار الأدب، 1977، ص 129.
- * - تعريف "سعيد خطيبي" كاتب جزائري من مواليد 1984، يعمل في الصحافة، وحصل على جائزة الصحافة العربية عام 2012، وعلى جائزة "ابن بطوطة لأدب الرحلة" عام 2015 عن كتابه "جنائن الشرق الملتهمية". وصدرت له عدة كتب، من بينها: "أعراس النار" وهو أول كتاب توثيقي عن موسيقى الراي، وكتاب "بهجة الأعراف"، كما صدرت له ثلاث روايات: "كتاب الخطايا"، و"أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" و"حطب سيرايفو".
- ** - تعريف بإيزابيل إبيرهارت (17 فبراير 1877 - 21 أكتوبر 1904): مستكشفة وكاتبة سويسرية، عاشت وسافرت في شمال أفريقيا، اعتنقت الدين الإسلامي. وكان والدها «ألكسندر تروفيموفسكي» قسيساً، ثم اعتنق الإسلام. وبعض المؤرخين يؤكدون أن والد إيزابيل الحقيقي هو الشاعر الفرنسي الشهير آرثر رامبو، لكن إيزابيل لم تكن متأكدة من كان والدها الحقيقي، فأخذت اسمها العائلي من جدتها من جانب والدها.
- وقد سبب لها هذا مشاكل مادية وعاطفية. مع ذلك، كانت إيزابيل متعلمة، في الرابعة عشرة اهتمت باللغة التركية أولاً قبل أن تتعلم وتتقن اللغة العربية، وتكاتب بها بعضاً من كبار المستشرقين الروس المعاصرين لها، كما حصلت على كتاب في النظام النحوي في اللهجة القبايلية وتعلمتها عبره.
- سافرت إلى الجزائر لأول مرة في مايو 1897 مع أمها في محاولة منها البدء بحياة جديدة، بعدها اعتنقتا الإسلام هناك وانحازتا لهذا الدين. وكانت الأم قد اعتنقت الإسلام تحت تأثير ابنتها. توفيت أمها فجأة في عنابة ودفنت تحت اسم فاطمة منوبية وفقاً للتقاليد الإسلامية، بعد فترة قصيرة من وفاة أمها، انخرطت وتضامنت مع المسلمين في محاربتهم للاستعمار الفرنسي.
- تقول في مذكراتها: "سأعيش بدوية طوال حياتي... عاشقة للآفاق المتغيرة والأماكن البعيدة غير المستكشفة... لأن كل رحلة، حتى إلى المواقع المعروفة عند الجميع، هي استكشاف".
- ⁷ - سعيد خطيبي: أربعون عاماً في انتظار إيزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016، ص 28.
- ⁸ - المصدر نفسه، ص 35.
- ⁹ - المصدر نفسه، ص 49.
- *** - مدينة عين الصفراء: مدينة من مدن الجزائر توجد في ولاية النعامة تقع مدينة عين الصفراء في الجنوب الغربي، بالهضاب العليا، تتوسط السلسلتين الجبليتين جبل عيسى وجبل مكثر، مساحتها الشاسعة تمتد إلى الحدود المغربية المتاخمة لفرطاسة، مما زاد من عدد بلدياتها.
- من بين بلدياتها: عين الصفراء، عسلة، جنين بورزق، مغرار، صفيصيفة، تيوت، فرطاسة. اشتهرت مدينة عين الصفراء بمقاومتها الشرسة للاستعمار، وذلك بمقاومات غير منظمة أغلبها بجبال المنطقة كجبل مكثر، وبمقاومات منظمة كمقاومة الشيخ بوعمامة. تعتبر مدينة عين الصفراء من أهم مدن الهضاب العليا وذلك لتمييزها بطابعها السياحي، والتاريخي.
- ¹⁰ - سعيد خطيبي: أربعون عاماً في انتظار إيزابيل ص 27، 28.
- ¹¹ - المصدر نفسه، ص 29.

12 - المصدر نفسه، ص 30.

13 - ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

14 - سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص 33.

**** - تعريف ألفونسو إيتيان دينيه: ولد ألفونسو إيتيان دينيه في باريس يوم 28 مارس 1861 من عائلة يرجع أصلها إلى مقاطعة "لواريه". وكان أبوه محاميا لدى محكمة "السين"، وكان جدّه المهندس ابن وكيل الملك في "فونتان بلو". أما أمه "لويز ماري أدل بوشيه" فقد كانت أيضا ابنة محام، بعد دراسته الثانوية التي توجت بحصوله على شهادة البكالوريا، قبل في مدرسة الفنون الجميلة في باريس. ولدى تخرجه منها فاز بوسام شرفي. وفي عام 1883 تحصل على درجة الشرف بلوحته "صخرة صاموا" (فونتين بلو)، وقام برحلته الأولى إلى الجزائر. وفي عام 1884 منحه صالون قصر الصناعة وساما ثالثا، كما أعطاه منحة أتاحت له أن يقوم برحلة ثانية إلى الجزائر. وهكذا ذهب في سفرة طويلة حتى وصل إلى ورقلة والأغواط، وهناك وجد ضالته المنشودة، إذ تركت المناظر الخلابة التي رآها في الجنوب أثرا عميقا في حياته. ومن بين اللوحات الرائعة التي استوحاها من الجنوب لوحة "سطوح الأغواط".

وفي عام 1889 مُنح الوسامَ الفضي في المعرض العالمي المقام في باريس، وتعرف إيتيان دينيه في نفس السنة على شاب جزائري يُدعى سليمان بن إبراهيم باعمر، فاشتدت روابط الصداقة والوفاء بينهما، ومنذ ذلك الحين صار بن إبراهيم يشاركه في كل مجالات حياته الفنية والفكرية. والحقيقة أنه اعتبارا من عام 1905 استقر دينيه نهائيا في بوسعادة.

15 - سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص 25.

16 - المصدر نفسه، ص 96.

17 - المصدر نفسه، ص 61.

18 - المصدر نفسه، ص 70.

19 - المصدر نفسه، ص 89.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، دار الأدب، 1977، ص 129.
2. خالد حسين، في نظرية العنوان، دار الدكوكين، دمشق، ط1، 2007.
3. سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016
4. علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دار الشرق، عمان، ط1، 1997.
5. قدور عبد الله ثاني، سميائية الصورة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
6. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاته، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1986.
7. محمود تيمور: فن القصص، مجلة الشرق، مطبعة هلال، مصر، 1948، ص 42.

المواقع الالكترونية:

1. <https://ar.wikipedia.org/wiki>